هذه الاية الكريمة دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة وإخبار بأن ا تبارك وتعالى يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها ورجع عنها وإن كانت مهما كانت وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر ولا يصح حمل هذه على غير توبة لأن الشرك لا يغفر لمن لم يتب منه قال البخاري : حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم قال يعلى إن سعيد بن جبير أخبره عن ابن عباس Bهما أن ناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا فأكثروا وزنوا فأكثروا فأتوا محمدا صلى ا عليه وسلّم فقالوا : إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة فنزل { والذين لا يدعون مع ا إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم ا إلا بالحق ولا يزنون } ونزل { قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة ا } وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنسائي من حديث ابن جريج عن يعلى بن مسلم المكي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس Bهما به والمراد من الاية الأولى قوله تعالى : { إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا } الاية وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو قبيل قال : سمعت أبا عبد الرحمن المزني يقول : سمعت ثوبان مولى رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول : سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول : [ ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الاية { قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم } إلى آخر الاية فقال رجل يا رسول ا فمن أشرك ؟ فسكت النبي صلى ا عليه وسلّم ثم قال : ألا ومن أشرك ] ثلاث مرات تفرد به الإمام أحمد وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا سريج بن النعمان حدثنا نوح بن قيس عن أشعث بن جابر الحداني عن مكحول عن عمرو بن عنبسة Bه قال : [ جاء رجل إلى النبي صلى ا عليه وسلّم شيخ كبير يدعم على عصا له فقال : يا رسول ا لي غدارت وفجرات فهل يغفر لي ؟ فقال صلى ا عليه وسلّم : ألست تشهد أن لا إله إلا ا ؟ قال : بلى وأشهد أنك رسول ا فقال صلى ا عليه وسلّم : قد غفر لك غدراتك وفجراتك ] تفرد به أحمد .

وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد Bها قالت سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقرأ : { إنه عمل غير صالح } وسمعته صلى ا عليه وسلّم يقول : { قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة ا إن ا يغفر الذنوب جميعا } ولا يبالي { إنه هو الغفور الرحيم } ورواه أبو داود والترمذي من حديث ثابت به فهذه الأحاديث كلها دالة على أن المراد أنه يغفر جميع ذلك مع التوبة ولا يقنطن عبد من رحمة ا وإن عظمت ذنوبه وكثرت فإن باب الرحمة والتوبة واسع قال ا تعالى : { ألم يعلموا أن ا هو يقبل التوبة عن عباده } وقال D : { ومن يعمل سوءا أو

يظلم نفسه ثم يستغفر ا يجد ا غفورا رحيما } وقال جل وعلا في حق المنافقين : { إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا * إلا الذين تابوا وأصلحوا } وقال جل جلاله : { لقد كفر الذين قالوا إن ا ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم } ثم قال جلت عظمته : { أفلا يتوبون إلى ا ويستغفرونه وا غفور رحيم } وقال تبارك وتعالى : { إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا } قال الحسن البصري رحمة ا عليه انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة والايات في هذا كثيرة جدا وفي الصحيحين عن أبي سعيد Bه عن رسول ا صلى ا عليه وسلّم حديث الذي قتل تسعا وتسعين نفسا ثم ندم وسأل عابدا من عباد بني إسرائيل هل له من توبة فقال : لا فقتله وأكمل به مائة ثم سأل عالما من علمائهم هل له من توبة فقال ومن يحل بينك وبين التوبة ثم أمره بالذهاب إلى قرية يعبد ا فيها فقصدها فأتاه الموت في أثناء الطريق فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأمر ا D أن يقيسوا ما بين الأرضين فإلى أيهما كان أقرب فهو منها فوجدوه أقرب إلى الأرض التي هاجر إليها فقبضته ملائكة الرحمة وذكر أنه نأى بصدره عند الموت وأن ا تبارك وتعالى أمر البلدة الخيرة أن تقترب وأمر تلك البلدة أن تتباعد هذا معنى الحديث وقد كتبناه في موضع آخر بلفظه وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس Bهما في قوله D : { قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة ا إن ا يغفر الذنوب جميعا } إلى آخر الاية قال قد دعا ا تعالى إلى مغفرته من زعم أن المسيح هو ا ومن زعم أن المسيح هو ابن ا ومن زعم أن عزيرا ابن ا ومن زعم أن ا فقير ومن زعم أن يد ا مغلولة ومن زعم أن ا ثالث ثلاثة يقول ا تعالى لهؤلاء : { أفلا يتوبون إلى ا ويستغفرونه وا غفور رحيم } ثم دعا إلى التوبة من هو أعظم قولا من هؤلاء من قال أنا ربكم الأعلى وقال : { ما علمت لكم من إله غيري } قال ابن عباس رضي ا تعالى عنهما من آيس عباد ا من التوبة بعد هذا فقد جحد كتاب ا D ولكن لا يقدر العبد أن يتوب حتى يتوب ا عليه وروى الطبراني من طريق الشعبي عن سنيد بن شكل أنه قال سمعت ابن مسعود يقول إن أعظم آية في كتاب ا { ا لا إله إلا هو الحي القيوم } وإن أجمع آية في القرآن بخير وشر { إن ا يأمر بالعدل والإحسان } وإن أكثر آية في القرآن فرحا في سورة الزمر { قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة ا } وإن أشد آية في كتاب ا تفويضا { ومن يتق ا يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب } فقال له مسروق صدقت وقال الأعمش عن أبي سعيد عن أبي الكنود قال مر عبد ا يعني ابن مسعود Bه على قاص وهو يذكر الناس فقال يا مذكر لم تقنط الناس من رحمة ا ؟ ثم قرأ { قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة ا } رواه ابن أبي حاتم C .

( ذكر أحاديث فيها نفي القنوط ) .

قال الإمام أحمد : حدثنا سريج بن النعمان حدثنا أبو عبيدة عبد المؤمن بن عبيد ا حدثني حسن السدوسي قال : دخلت على أنس بن مالك رضي ا تعالى عنه فقال سمعت رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول : [ والذي نفسي بيده لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتم ا تعالى لغفر لكم والذي نفس محمد صلى ا عليه وسلّم بيده لو لم تخطئوا لجاء ا D بقوم يخطئون ثم يستغفرون ا فيغفر لهم ] تفرد به أحمد وقال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى حدثني الليث حدثني محمد بن قيس قاص عمر بن عبد العزيز عن أبي صرمة عن أبي أيوب Bه أنه قال حين حضرته الوفاة قد كنت كتمت منكم شيئا سمعته من رسول ا صلى ا عليه وسلّم يقول [ لولا أنكم تذنبون لخلق ا D قوما يذنبون فيغفر لهم ] هكذا رواه الإمام أحمد وأخرجه مسلم في صحيحه والترمذي جميعا عن قتيبة عن الليث بن سعد به ورواه مسلم من وجه آخر به عن محمد بن كعب القرظي عن أبي صرمة وهو الأنصاري صحابي عن أبي أيوب Bهما به وقال الإمام أحمد حدثنا أحمد بن عبد الملك الحراني حدثنا يحيى بن عمرو بن مالك البكري قال سمعت أبي يحدث عن أبي الجوزاء عن ابن عباس Bهما قال : قال رسول ا صلى ا عليه وسلّم : [ كفارة الذنب الندامة ] وقال رسول ا A : [ لو لم تذنبوا لجاء ا تعالى بقوم يذنبون فيغفر لهم ] تفرد به أحمد وقال عبد ا بن الإمام أحمد حدثني عبد الأعلى بن حماد القرشي حدثنا داود بن عبد الرحمن حدثنا أبو عبد ا مسلمة بن عبد ا الرازي عن أبي عمرو البجلي عن عبد الملك بن سفيان الثقفي عن أبي جعفر محمد بن علي عن محمد بن الحنفية عن أبيه علي بن أبي طالب رضي ا تعالى عنه قال : قال رسول ا A : [ إن ا تعالى يحب العبد المفتن التواب ] ولم يخرجوه من هذا الوجه .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد حدثنا ثابت وحميد عن عبد ا بن عبيد بن عمير قال : إن إبليس لعنه ا تعالى قال يا رب إنك أخرجتني من الجنة من أجل آدم وإني لا أستطيعه إلا بسلطانك قال فأنت مسلط قال يا رب زدني قال لا يولد له ولد إلا ولد لك مثله قال يا رب زدني قال أجعل صدورهم مساكن لكم وتجرون منهم مجرى الدم قال يا رب زدني قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا فقال آدم E يا رب قد سلطته علي وإني لا أمتنع إلا بك قال تبارك وتعالى لا يولد لك ولد إلا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء قال يا رب زدني قال الحسنة عشر أو أزيد والسيئة واحدة أو أمحوها قال يا رب زدني قال باب التوبة مفتوح ما كان الروح في الجسد قال يا رب زدني قال : { يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة ا إن ا يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم } وقال محمد بن إسحاق قال نافع عن عبد ا بن عمر عن عمر Bهما في حديثه قال وكنا نقول ما ا بقابل ممن افتتن صرفا ولا عدلا ولا

توبة عرفوا ا ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم قال وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم قال فلما قدم رسول ا A المدينة أنزل ا تعالى فيهم وفي قولنا وقولهم لأنفسهم { يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة ا إن ا يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم * وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون * واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون } قال عمر Bه فكتبتها بيدي في صحيفة وبعثت بها إلى هشام بن العاص Bه قال : فقال هشام لما أتتني جعلت أقرؤها بذي طوى أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها حتى قلت اللهم أفهمنيها فألقى ا D في قلبي أنها إنما نزلت فينا وفيما كنا نقول في أنفسنا ويقال فينا فرجعت إلى بعيري فجلست عليه فلحقت برسول ا A بالمدينة ثم استحث تبارك وتعالى عباده إلى المسارعة إلى التوبة فقال : { وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له } الخ أي ارجعوا إلى ا واستسلموا له { من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون } أي بادروا بالتوبة والعمل الصالح قبل حلول النقمة { واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم } وهو القرآن العظيم { من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون } أي من حيث لا تعلمون ولا تشعرون ثم قال D : { أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب ا } أي يوم القيامة يتحسر المجرم المفرط في التوبة والإنابة ويود لو كان من المحسنين المخلصين المطيعين  D وقوله تبارك وتعالى : { وإن كنت لمن الساخرين } أي إنما كان عملي في الدنيا عمل ساخر مستهزىء غير موقن مصدق { أو تقول لو أن ا هداني لكنت من المتقين * أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين } أي تود لو أعيدت إلى الدنيا لتحسن العمل قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي ا تعالى عنهما أخبر ا سبحانه وتعالى ما العباد قائلون قبل أن يقولوه وعملهم قبل أن يعملوه وقال تعالى : { ولا ينبئك مثل خبير } { أن تقول نفس يا حسرتى على ما فرطت في جنب ا وإن كنت لمن الساخرين * أو تقول لو أن ا هداني لكنت من المتقين * أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين } وقد قال الإمام أحمد حدثنا أسود حدثنا أبو بكر عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي ا تعالى عنه قال : قال رسول ا A : [ كل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول لو أن ا هداني فتكون عليه حسرة قال وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول لولا أن ا هداني قال فيكون له الشكر ] ورواه النسائي من حديث أبي بكر بن عياش به ولما تمنى أهل الجرائم العود إلى الدنيا وتحسروا على تصديق آيات ا واتباع رسله وقال ا سبحانه وتعالى : { بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين } أي قد جاءتك أيها العبد النادم على ما كان منه آياتي في الدار الدنيا وقامت حججي عليك فكذبت بها واستكبرت عن اتباعها وكنت من الكافرين بها الجاحدين لها